

فك التشفير

إندثار مدن العراق



ياس خضير البياتي

الامارات

الفاضلة، مشاهدة مايجري لمدن العراق الحضرية من اندثار حقيقي لعالمها الحضرية والتاريخية والبشرية، لقررا اعادة فكرة (المدن الفاضلة) الى (المدن الجاهلة) حسب تعبير الفارابي، ولو قدر لاموات العراقيين ان يحيوا دقائق، ويروا مدن العراق الآن، لما صدقوا انها مدمهم، ولطلبوا تكتب بعد، وهي حسب وصف بول فاليري قد تكون اقصى مراحل الحزن، بل إن بعض الضحك لو تذوقناه على اساس الترفيه لوجدناه على ولو قدر لأفلاطون والفارابي وهم اصحاب فكرة المدينة

سيمحي من خارطة الأوطان؛ شخصسيا، ارى كل المدن العراقية هي العراق، ولكل مدينة لها طعم خاص ورائحة مختلفة، لكن الجميع لها جذورها العميقة بتاريخها وعراقتها، وكلها تقاسمت ظلم الساسة والحكام، لكنني اليوم ساتناول مدنا بحالها كعواصم ورموز، من باب التفسير الرمزي لهذه المدن فيغداد العاصمة التي يفتش عنها الناس ويبحث عنها الفلاسفة، ويهيم بها الأدباء ويتغزل فيها الشعراء، وتتغني بها فيروز حلما ووجود (بغداد والشعراء والصور...)، وهي التي قال عنها الكثير بانها حاضرة الدنيا وما سواها بادية(الدلي)، يوما دخلت بلدا قط إلا عدته سفرا، إلا بغداد فاني حين دخلتها عدتها وطنار الحموي او بغداد أم الدنيا، من لم يرها لم ير الدنيا ولا الناس(الجاحظ)، فانا اليوم بغداد الريف التي قتلوا حباتها وتحضرها وسرقوا اجمل مافيهها من خزائن العلم والحضارة، وقلوا روح (البغدة) فيها، وحولوها الى مدينة حزان وبكائيات وعشوائيات، حتى لتشعر انك تعيش في ريف

العراق ايام الاربيعينات. اما البصرة تُغفره العراق وعاصمتها الاقتصادية و(احسا واموت على البصرة)، فانا مدينة منكوبة بالجوع والعطش والحرمان، رغم انها اغنى مدينة في العالم، ولم يعد لها بحر جميل ولا نهر نقي، ولا حياة بصراوية برائحة الكاري وسمك (الصبور) و(الزبيدي)، وانما تستنشق رائحة المزابيل وروائح الأنهر والسواقي المتعفنة والكريهة، لأن لصوص السياسة حولوها الى مصرف لسرقة نطها وفرواتها، وتاريخا للخراب منها، ولم يبق منها الا ناسها الطبيعيون اصحاب الكرم والمروة والشهامة، واصحاب الثورات ضد الظلم والفساد. اما موصل ام الربيعين العاصمة السياحية (بردي سرمة قتلتيني) فانا لم تقتل من المرأة (السمر) ، انما قتلت من اصحاب القلوب السود، لتصبح مدينة من التاريخ والجغرافيا، لأن نصفها الايمن منذثر تحت الارض بشرا احياء موتى يعانون من قسوة الحياة والحصار والتأري، الان مدينة مهدمة ومهملة الى حد الظلم والقسوة، بعد ان

كانت هذه المدينة تاريخا في عبقريتها وعلمها وثقافتها وجمالها واثارها ومساجدها وكناشها وخضرتها المعطرة بزهور الباونك والياسمين. مدن الحضارات ولتعترف اخيرا بان مدن وطن الحضارات أصبحت اليوم مدننا للحزن والخراب، فلا نشم منها رائحة اوكسجين الحياة والوجود والتحضر، انما هي عشوائيات من البشر يموتون بغاز اوكسيد كاربون المزابيل والمجاري والبطالة والفساد وغنائم الأخراب. لكننا نحمد الله ان لدينا اليوم بعد هذا الخراب الكبير،

عروسة جميلة فتخر بها، هي مدينة اربيل، المزهوة بجمالها ونظافتها واناقتها، رغم حصار وتجويع الاهل لها، وظلمهم لها كل هذه السنوات الطويلة، لكن ارادة وعقلية من يحكمون في اربيل أكثر تحضرا وولاء لأهلهم. ومهما قيل عن الفساد من قبل الحكومة الاتحادية لهم، وهي الحكومة التي سرقت العراق وجودا ومالا، فانهم أكثر شعورا بالانتماء لأرضهم واحتراما لعاصمتهم الجميلة. باختصار شديد: فان مدن العراق لم تعد قابلة للعيش الأدمي، واصبحت بغداد (ام

الدينا)، حسب تقرير دولي اسوأ مكان يمكن العيش فيه، لأن صبية العراق من السياسيين حولوا العراق من (بلد حضارات) إلى (بلد لصوص)، ووضعوا (قفلًا) على الوطن ليحولوه الى مصرف للنهب؛

محو التاريخ

فأي طينة هؤلاء الذين يهدمون مدن العباد، ويمحون تاريخ المدن العراقية، وينشروا فيها وباء الفقر والتخلف وسرطان الطائفية، ليجعلونا في آخر الاوطان؛

□ أكاديمي واعلامي

شخصيا، اعتبر كل المدن العراقية، هي العراق، ولكل مدينة لها طعم خاص ورائحة مختلفة، لكن الجميع لها جذورها العميقة بتاريخها، وكلها تقاسمت ظلم الساسة والحكام، لكنني اليوم ساتناول مدنا بحالها كعواصم ورموز، من باب التفسير الرمزي لهذه المدن -فيبغداد العاصمة التي يفتش عنها الناس ويبحث عنها الفلاسفة، ويهيم بها الأدباء ويتغزل فيها الشعراء، وتتغني بها فيروز حلما ووجود(بغداد والشعراء والصور...).

سيطرة البروليتاريا الرثة على إدارة الإقتصاد الوطني العراقي



سناء عبد القادر مصطفى

بغداد

تطور البروليتاريا الرثة تعني البروليتاريا الرثة (Lumpenproletariat) حسب تعريف كارل ماركس لها بانها الفئات المدممة والفقرية التي انفصلت عن طبقتها الأصلية وتشمل المتشردين والأفاقين والمصاعلي والمجرمين وبقية الأشخاص الذين لا ينتمون الى طبقة اجتماعية محددة ومكانتها في قاع المجتمع. وفي أكثر الحالات فإن البروليتاري الرث هو الشخص الذي لا يملك أي دخل خاص به كالمراش الشهري مثلا او يحصل على مساعدة اجتماعية من الدولة بأي شكل من الأشكال. وكما عرفها فلاديمير إيليتش لينين فإنها تشمل الفئات المنفصلة او الخارجة عن طبقتها وفي تناقض مع المجتمع (الأقلاصون والصعاليك والمعدمون والمجرمون والعاهرات وما أشبه ذلك). هذا وحصل مصطلح البروليتاريا الرثة على انتشار واسع في ظروف

تطور المجتمع كما هو الحال في العراق. وهم حثالة الفئات الدنيا من المجتمع، فإنها قد تنجرف هنا وهناك في الحركة بفعل ثورة بروليتارية، لكنها بحكم وضعها الحياتي والمعاشي تصبح أكثر استعدادا لبيع نفسها لمكائد الفئات الرجعية كما وصفها كارل ماركس وفريدريك انجلس في بيان الحزب الشيوعي الصادر في 21 شباط العام 1848. وهناك تسميات أخرى للبروليتاريا الرثة، فعلى سبيل المثال لا الحصر الفئات الدنيا أو فئات القعر الاجتماعي أو جماهير نصف البروليتاريا أو حثالة البروليتاريا او الفوغاينين او الرعا. وهذه كلها مفاهيم مرادفة للبروليتاريا الرثة التي تسميتها الأدبيات الماركسية-اللينينية جميعها تعني شيئا واحدا. ويشرح فرانز عمر قانون Franz Fanon (1925-1961) الاسباب الرئيسية لتكوين تلك الفئات الاجتماعية إذ يكتب "ان الفلاحين الذين لا يملكون أرضا والذين يطرح عليهم تزايد السكان مشكلة لا سبيل لحلها، يهجرون الريف وينزحون الى المدن، فتراهم يتكدسون في أكواح الضيف ويحاولون أن يتسربوا الى البوانى والمدن التي اوجدوا الاستعمار فيشكلون هناك البرولتاريا الرثة" وكانت أولى بوانر تكوين هذه النوع من البروليتاريا في العصر الحديدي في الاتحاد السوفيتي بعد ثورة أكتوبر 1917ومن ثم انتشرت في بقية الوزارات التابعة لها دول أوروبا الشرقية بعد قيام الأنظمة الاشتراكية فيها بعد الحرب العالمية الثانية والذي شكل السبب الرئيس في انهيارها كما يؤكد ذلك ميخائيل فوسلينسكي في كتابه النوميكلاتورا- الطبقة الحاكمة في الاتحاد السوفيتي الصادر في العام 1985في لندن باللغة الروسية كتب المفكر العظيم ميخائيل في القرن الخامس عشر في كتابه حواريو الثورة - مايلي: (يرفع الثوريون الشعارات السياسية من أجل الشعب، ولكنهم يديرون ظهورهم له بعد استلامهم السلطة). كتب ميخلس هذا قبل ماركس وانجلس بحوالي ثلاثة قرون.

وكذلك كتب ميلوفان جيلاس Milovan Djilas العضو السابق في المكتب السياسي لعصبة الشيوعيين اليوغسلاف بهذا الصدد في مقدمة كتاب النوميكلاتورا- الطبقة الحاكمة في الاتحاد السوفيتي التالي: (وفي الختام أريد الإلتزام الى م. س. فوسلينسكي حينما قال إن النظام السوفيتي لا يملك في حوزته أية قدرات داخلية ذات شأن او مشجعة على الإصلاح، بل إنها تشجع على التخلف والفساد الإداري اللذين يدفعانه دون رحمة الى التوسع، وخصوصا العسكري منه) قامت البروليتاريا الرثة في العراق بتأسيس جامعات أهلية معترف بها من قبل وزارة التعليم العالي العراقية بعد أن نالت هي (البروليتاريا الرثة) على شهادات الدكتوراه في مختلف الاختصاصات من خلال شراء الشهادات المزورة (في سوق مردي مدينة الثورة في بغداد) او من خلال تقديم الرشوات الى الجامعات المعترف بها او الى القاصمين على وزارة التعليم العالي العراقية عن طريق شراء السدم او بالتزغيب او بالتهديد. واقع عملي

وبهذا وصل الى الواقع العملي الذي يكشف لنا بان الاقتصاد الوطني العراقي يدار من معظمه من قبل البروليتاريا الرثة التي تملك ثقلا نوعيا في الحكومة العراقية وفي مجلس النواب واللجان الاقتصادية التابعة للأحزاب السياسية التي تستحوذ على عقود الوزارات التابعة لها بالإضافة الى المراكز الإدارية المهمة في أجهزة الدولة العراقية التي يجلس فيها أعضاء هذه الأحزاب العراقي والشرطة الاتحادية والجيش الشعبي. يمتد الإخطبوط المافيتوي للبرولتاريا الرثة بقدراته المالية الى سوق البورصة العراقي ومزار العملة في البنك المركزي العراقي وشركات الاستيراد والتصدير وشركات البناء وبيع العقارات والموانئ البحرية والبرية. هذا وتملك البرولتاريا الرثة مكان قدم وسط الزعامات الدينية والعضائرية وتملك

ميليشياتها الأسلحة المتوسطة والخفيفة وتمتد تلك الزعامات بالأسلحة والأموال الطائلة من أجل كسب ودها وإسنادها ولهذا السبب قاموا بتفعيل قانون العشائر العراقي الذي كان سائدا قبل ثورة 4 تموز العام 1958 الى حياة العراق الاجتماعية وانتشر بشكل واسع الفصل العشائري السعي الصعب الذي استغلته البروليتاريا الرثة لصالحها. لقد تمكنت البروليتاريا الرثة من الاستحواذ على جزء كبير من الربع الخلفي في العراق من خلال وارثها السيادة بشكل مباشر أو غير مباشر وتستثمر ثروة الشعب العراقي المنهوبة في خارج العراق في دول الجوار أو في الدول الأروبية والولايات المتحدة الأمريكية سواء بواسطة الطريق الرسمي والقانوني عبر المصارف الرسمية او عبر غسل الاموال والائسكى من ذلك ان مصارف دول الجوار تستقبل الاموال دون السؤال عن مصدرها كما هو الحال في إيران والأردن والكويت ودولة الإمارات العربية المتحدة وقطر ولبنان وتركيا وبريطانيا وذلك من خلال التعاون مع جهات مافوية موجودة في تلك الدول ضاربة بعرض الحائط جميع القوانين الدولية الخاصة بغسيل الاموال . ولم تتوان البروليتاريا الرثة عن استخدام أجهزة الاعلام التابعة لها الرسمية وغير الرسمية من ترسيخ موقعها السلطوي من خلال شراء صحفيين وكثاب واعلاميين وانصاف المثقفين يبدجون لها المقالات في الصحف اليومية والمجلات والبرامج الإذاعية والتلفزيونية ويكيلون المديح لها على طريقة وعاط السلاطين وهي بدورها تغدق عليهم من أموال السحت الحرام.

الذي تجاوز الألفين او بسبب إعالة الأسرة التي فقدت مبعيلها لأسباب مختلفة نتيجة التفجيرات اليومية وسوء الأمن والنظام والقائمة تطول لأن البروليتاريا الرثة لا تفكر ولا تشغل حتى بالها بلحها لأنها لا تدخل ضمن مشروعه الذي يتلخص في سلب ونهب الشعب العراقي. ومن الصفات الأخرى للبروليتاريا الرثة في العراق انها تغلف نفسها بغلاف وهالة دينية وتستخدم الدين غطاء لها لأنها في الأساس بعيدة كل البعد عن القيم الأخلاقية للدين حتى تستغل الناس البسطاء وتستخدمهم في مشاريعها الإنسانية هذا من جهة ومن جهة أخرى تقوم بمسح العلاقات الاجتماعية الرصينة وإدخال علاقات اجتماعية تقوم على المصلحة الذاتية وحب الذات والانانية وكذلك تقوم بإفراغ لترسي بدلها خصائل الغش والإحتيال والتكليل بالخير واتهام الغير بتهم كيدية تؤدي بهم الى السجن او تقوم بتصفيتهم جسديا كما يحدث الآن في العراق. ان جميع البرامج التنموية للإقتصاد العراقي التي تضعها الحكومة لا تدخل في عداد مصلحة البروليتاريا الرثة وإنما تقوم الأخيرة بعرقلة تنفيذها وهذا ما تراه في الواقع العملي. فالقطاع الصناعي العام والخاص الوطني الذي يكمن هدفه في تنمية وتطوير الاقتصاد الوطني العراقي ويققل من استيراد السلع من الخارج لا يلبى مصالح البروليتاريا الرثة التي تجني المبالغ الطائلة من عمليات الإستيراد ولهذا تراها تدعم الأخير. وستحاول بكل جهدها عرقلة خطة التنمية الوطنية للفترة الزمنية 2018- 2022 الصادرة من وزارة التخطيط لأنها وضعت من قبل كوادر مختصة في الوزارة وبمشاركة كافة الوزارات وجهات رسمية وغير رسمية ومحافظات العراق وكوادر من القطاع الخاص ومنظمات المجتمع المدني، ذلك لأن البروليتاريا الرثة لاتؤمن بالتخطيط العلمي مهما كان نوعه قصير أم متوسط أو بعيد المدى لإقتصاد ما ولا تخطط تنمية

من الصفات الأخرى للبروليتاريا الرثة في العراق انها تغلف نفسها بغلاف وهالة دينية وتستخدم الدين غطاء لها لأنها في الأساس بعيدة كل البعد عن القيم الأخلاقية للدين حتى تستغل الناس البسطاء وتستخدمهم في مشاريعها الإنسانية هذا من جهة ومن جهة أخرى تقوم بمسح العلاقات الاجتماعية الرصينة وإدخال علاقات اجتماعية تقوم على المصلحة الذاتية وحب الذات والانانية وكذلك تقوم بإفراغ المجتمع من الخصلات الجيدة لترسو بدلها خصائل النصب والإحتيال والتكليل بالخير واتهام الغير بتهم كيدية تؤدي بهم الى السجن او تقوم بتصفيتهم جسديا كما يحدث الآن في العراق. ان جميع البرامج التنموية للإقتصاد العراقي التي تضعها الحكومة لا تدخل في عداد مصلحة البروليتاريا الرثة وإنما تقوم الأخيرة بعرقلة تنفيذها وهذا ما تراه في الواقع العملي.

□ أكاديمي وخبير اقتصادي